المشهد الملتبس في مسار التطبيع بين السعودية و«إسرائيل»

وسام أبوشمالة
كاتب ومحلل سياسي

تشهد المنطقة عدداً من التحركات المعلنة وغير المعلنة ومساع أميركية وإسرائيلية لدفع مسار التطبيع بين العدو الإسرائيلي والمملكة السعودية، بيد أن الأطراف الرئيسية المتصلة بملف التطبيع في المنطقة تدرك أن المعادلة التي أفرزت "اتفاقات أبراهام" بين العدو ودولتي الإمارات والبحرين، وأثمرت عقد منتدى ضم ممثلين عن دول التطبيع والولايات المتحدة والعدو الإسرائيلي. كما رفعت مستوى العلاقة بين الأخير والمغرب، ما زالت عناصرها ومركباتها غير متفاعلة بالشكل الذي يؤدي إلى بلورة اتفاقية جديدة طرفها الآخر السعودية، الأمر الذي يشير إلى أن الأسئلة التي تطرح عن مدى جدية التحركات وقدرتها على تذليل العراقيل والعقبات أمام طريق الاتفاق بين العدو والمملكة برعاية أميركية أكثر من الإجابات، على نحو يبقي المشهد ملتبساً.

ومايرفع مستوى الالتباس هو التحول في موقف قيادة السلطة الفلسطينية التي اتخذت مواقف حادة حيال "اتفاقيات أبراهام"، انسجاماً مع معادلة التسوية التي رسمها محمود عباس، والتي نصت على أن الاتفاق على نهاية الصراع بين العدو ومنظمة التحرير الفلسطينية سيتبعه تطبيع الدول العربية والإسلامية مع العدو، وليس العكس، إلا أن "اتفاقيات أبراهام" قلبت المعادلة رأساً على عقب، ما أدى إلى أن تستشيط السلطة ورئيسها غضباً وحنقاً على الدول الموقعة عليها، ولا سيما دولة الإمارات، بيد أن مواقف السلطة تجاه مساعي العدو وإدارة بايدن لضم السعودية إليها اختلفت كلياً، ما أثار التساؤلات وعزز الالتباس في المشهد القائم.

ما هو بعيد عن الالتباس أن إدارة بايدن متحمسة بشكل كبير لعقد اتفاق تطبيع بين العدو والمملكة، وذلك قبيل إطلاق الحملة الانتخابية الرئاسية بعد نحو عام، ما يحسن فرص الحزب الديمقراطي في الانتخابات، ويعزز ترشح بايدن لولاية جديدة.

ثمة التباس في قدرة إدارة بايدن على صياغة معادلة قادرة على تجاوز العقبة الفلسطينية في ضوء تمسك السعودية بضرورة ضمان عدم معارضة السلطة الفلسطينية للمسار منذ بدايته وحتى إنضاجه، ومدى تجاوب السلطة مع المسار في حال كان المعروض أميركياً والمقبول إسرائيلياً أقل من الحد الأدنى الذي تقبله، والتباس في إمكانية استعادة الثقة بين نتنياهو وغانتس، وموافقة الأخير على الانضمام إلى حكومة نتنياهو في ضوء الخلافات حول التعديلات القضائية، ورهانه على إسقاط حكومة نتنياهو وتقديم موعد الانتخابات في ظل ارتفاع حظوظه في استطلاعات الرأي التي رفعت أسهم حزبه ليصبح الحزب الأول بحسب عدد من الاستطلاعات، ومدى قدرة نتنياهو على تجاوز المعارضة داخل حزبه الليكود ورفض عدد من أقطابه تقديم "تنازلات" للسلطة الفلسطينية حتى ولو بثمن اتفاق تطبيع مع السعودية.

على الرغم من تلك الالتباسات، فإن الشروط السعودية ما زالت تشكل العقبة الرئيسية أمام اتفاق التطبيع، فهل توافق حكومة نتنياهو على قيام الولايات المتحدة بمساعدة السعودية في إنشاء مفاعل نووي سلمي، في ظل معارضة علنية أبداها يائير لبيد وغيره، وعدم وضوح الموقف السياسي والأمني للعدو، الرافض تقليدياً حصول دولة عربية أو إسلامية على التكنولوجيا النووية حتى يحافظ على تفوقه العسكري في المنطقة، والذي يخشى عدم استقرار الأنظمة الحاكمة، ويخاف من وصول أنظمة معادية للحكم في المستقبل وسيطرتها على التكنولوجيا النووية؟

وهل تخضع الولايات المتحدة للشرط السعودي بعدما بدأت المملكة باللعب بأوراق دولية وإقليمية مختلفة، ولا سيما الصين وروسيا وإيران، بعدما استعدت الصين للمساعدة في إنشاء مفاعل نووي سلمي ومجالات تعاون أخرى.

أما الشرط السعودي الأكثر تعقيداً، فهو مطالبة المملكة بتوفير شبكة أمان، من خلال تعهد الإدارة الأميركية بالتعامل مع أي هجوم معادٍ ضد السعودية مثلما تتعامل مع هجوم مماثلٍ على دولة عضو في حلف الناتو، وهو ما يعتبر أصعب الشروط.

إن الموقف السعودي التقليدي غير المنسجم مع الإدارة الأميركية الحالية بقيادة بايدن، ولا سيما في ضوء الانتقادات التي تعرض لها ولي العهد السعودي محمد بن سلمان من الإدارة الديمقراطية ومن بايدن شخصياً على خلفية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، والانتقادات الأميركية في ملفي الحريات وحقوق الإنسان، وصعوبة استجابة إدارة بايدن للشروط السعودية، يؤشر إلى أن القيادة السعودية ستكون أكثر حذراً تجاه تعزيز فرص إدارة بايدن في الانتخابات المقبلة.

كما أن المملكة ستراهن بشكل أكبر على فوز مرشح الحزب الجمهوري. وسواء كان ترامب أو غيره، فإن مساحة الاتفاق والتفاهم ستكون أكبر وأكثر اتساعاً من الإدارة الحالية، الأمر الذي يشير إلى أن القيادة السعودية تناور بورقة التطبيع لا أكثر، وتضع شروطاً شبه تعجيزية أمام توقيع "اتفاقية أبراهام" جديدة، ونحن نقدر أن احتمال نجاح إدارة بايدن في التوصل إلى اتفاق تطبيع بين السعودية والكيان ما زال محدوداً.

> الأطراف الرئيسية المتصلة بملف التطبيع تدرك أن المعادلة التي أفرزت "اتفاقات أبراهام" ما زالت عناصر غير متفاعلة بالشكل الذي يؤدي إلى بلورة اتفاقية جديدة طرفها الآخر السعودية

ما زال «حنظلة» يُدير ظهره

وليد القططي
كاتب ومحلل سياسي

ناجي العلي، رسام الكاريكاتور الفلسطيني الأكثر شهرة في الوطن العربي، مرت ذكرى اغتياله السنوية قبل أيام، وقد سبقت قتله سلسلة من التهديدات على خلفية رسوماته الساخرة الناقدة للانحراف في الواقع السياسي العربي المسؤول عن ضياع فلسطين وشرعنة الكيان الصهيوني، وفي الثورة الفلسطينية التي بدأت آنذاك تنحرف في اتجاه التخلّي عن هدف التحرير الكامل لأرض فلسطين ووسيلة الكفاح المُسلّح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، فانتقد ناجي العلي برسوماته الكاريكاتورية الساخرة هذا الانحراف لدى الأنظمة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وابتدع شخصية "حنظلة" ليكون شاهداً على ذلك، وجعله توقيعاً دائماً في كل رسوماته، ليكون ثورة داخل الثورة.

"حنظلة" صورة طفل حافي القدمين رث الملابس، في العاشرة من عمره، رسمه ناجي العلي على صورته وقتما هاجر طفلاً مع أسرته من قريته الشجرة شمال فلسطين إلى لبنان، وُلد – كما يقول ناجي – يوم النكسة عام ١٩٦٧، وأمه النكبة عام ١٩٤٨، وظهر في رسوماته عام ١٩٦٩ بشكله الطبيعي ووجهه للأمام، وبعد حرب تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٧٣ أدار ناجي ظهر "حنظلة" للناس ووجهه للخلف، وكتّف يديه خلف ظهره احتجاجاً على النتائج السياسية للحرب التي فتحت الطريق إلى التسوية السلمية لمصر والعرب مع الكيان الصهيوني وبدأت في اتفاقية "كامب ديفيد" عام ١٩٧٨، والطريق الذي سلكته منظمة التحرير الفلسطينية بعد أن رقصت على أنغام "الشرعية الدولية"، وفتحت مزاد التنازلات ببرنامج النقاط العشر، فكانت تلك "الحنجلة الثورية" بداية سقوط الثوار في مستنقع أوسلو.

ابتكر ناجي العلي اسم "حنظلة" من نبات الحنظل الصحراوي المُر ليرمز إلى مرارة واقع الشعب الفلسطيني المأساوي بعد النكبتين في مخيمات اللجوء وتحت الاحتلال، وجعله ينتمي نضالياً إلى الشعب الفلسطيني كله من دون تصنيفه فصائلياً؛ ليكون: صوت الشعب، وضمير الوطن، ونبض الفقراء، وبوصلة الثورة، وأيقونة الصمود والتحدي، ورمز الهوية الفلسطينية. وجعله ينتمي طبقياً إلى الكادحين والفقراء الذين انحاز لهم ناجي في كل الوطن العربي، فقال: "أنا لست مُحايداً، أنا منحاز لمن هم تحت... لمن ينامون في مصر بين قبور الموتى.. لمن يخرجون من حواري الخرطوم ليمزقوا بأيديهم سلاسلهم...".

وجعله ينتمي قومياً إلى العروبة، فقال على لسان حنظلة: "أنا مش فلسطيني، ومش أردني، ومش كويتي... ومش حدا، محسوبك عربي وبس".

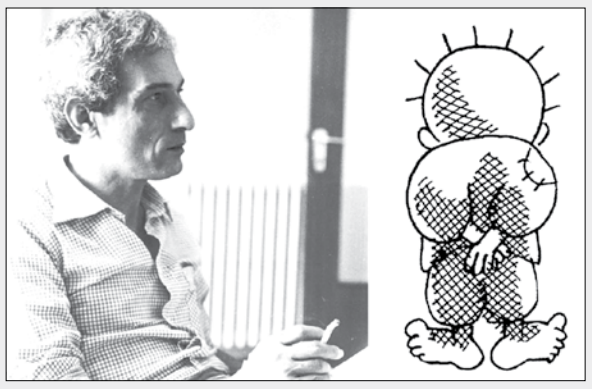

"حنظلة" "البائس الفقير" أصبح توقيعاً دائماً وشاهداً ثابتاً في كل رسومات ناجي العلي الكاريكاتورية، الرسومات التي حوّل فيها الأحداث والمواقف المأساوية الجادة إلى هزلية مضحكة، كمخرج ساخر ينسجم مع المثل الشعبي "شر البلية ما يُضحك"؛ كطريقةٍ تعتمد على النقد الذاتي للثورة لتطهيرها وتصويبها، ولتجاوز حالة العجز والإخفاق فيها، فأعاد ناجي التعبير الفني بالرسم والتعليق على الواقع لإعادة تشكيله وفق فكره الثوري، وعاطفته الوطنية، فجاءت رسوماته: عميقة الفكرة، متقدة العاطفة، ساخرة المضمون، قوية التأثير، غنية الرموز، سريعة الفهم... فكان "حنظلة" فيها بمنزلة الضمير الشعبي وبوصلة الثورة، وليس "شاعر البلاط" أو "رسام القبيلة".

ولأنَّ ناجي العلي رفض دور "رسام القبيلة" المرتزق الموالي لأصحاب القرار وأولي الأمر، كانت شخصية "حنظلة" على صورته يُدير ظهره للناس رفضاً واحتجاجاً، ليظل ثورة "داخل الثورة"، محاولاً تحذيرها لوقف انحرافها السياسي وهرولتها نحو سراب التسوية السلمية، ووهم الدولة المستقلة قبل التحرير، رافضاً قبول فكرة تقاسم فلسطين مع مغتصبها بحجة الواقعية السياسية، ومتهماً قيادة المنظمة بالاعتراف بـ "الشرعية الدولية" لتسافر كل البلاد باستثناء فلسطين، ولتسكن الفنادق بدلاً من الخنادق، ولتخفي كفي الاستسلام خلف أصبعي النصر.

وظل "حنظلة" يدير ظهره لنا رفضاً واحتجاجاً على الفساد المالي في صفوف الثورة، فانتقد برسوماته الساخرة حالة الترف التي بدأت تظهر على بعض قادة الثورة، وظاهرة الاسترلام وشراء الذمم التي تمارسها قيادة المنظمة لترويض الانتهازيين المتسللين داخل صفوف الثورة، ورسم المسؤولين الفاسدين في صورة رجال قبيحين متكرشين همهم ملء بطونهم وقضاء لذاتهم وإنجاز مصالحهم على حساب الثورة ومن قوت البؤساء.

أدار "حنظلة" ظهره ليكون شاهداً على خطيئة التطبيع الثقافي للثورة، مُعتبراً التخلّي عن ثقافة المقاومة كسراً لحاجز الرفض الشعبي للكيان الصهيوني وعار، فهاجم التطبيع الثقافي مع العدو والذي بدأته المنظمة تحت عنوان الحوار مع "اليسار الإسرائيلي"، وخاض معركة قاسية مع الشاعر محمود درويش لمشاركته في هذا الحوار العقيم، واتهم أشباه الرجال وأنصاف الثوار من مثقفي منتصف الطريق بأنهم "بصيمة" مسلوبي الإرادة والرجولة.

أدار "حنظلة" ظهره رفضاً لحالة التشرذم عند الفصائل الفلسطينية، منتقداً حالة الاشتباك السياسي المستمر بين الفصائل الفلسطينية، التي تصل أحياناً إلى درجة التخوين الوطني والقتال المُسلّح، وانتقد كثرة الانشقاقات داخلها، والتوالد المستمر في صفوفها، وغياب البرنامج النضالي الموحّد، وسرعة تبدل الولاءات وإعادة التموضع، وممارسات الاستبداد والإقصاء وتكميم الأفواه داخلها وبينها... ولذلك، ظهرت تعليقات مثل: "لا لكاتم الصوت". "لا لكاتم الصورة".

قُتل ناجي العلي وغُيّب عن الوجود؛ لأنَّ "حنظلة" شاهده على الانحراف وضميره الحي الحاضر في كل رسوماته قد أدار ظهره احتجاجاً على الانحراف السياسي، والفساد المالي، والتطبيع الثقافي، والتشرذم الفصائلي، والاستبداد الحزبي... في الثورة الفلسطينية آنذاك... فمات ناجي العلي شهيداً وعاش "حنظلة" شاهداً؛ ما زال يدير ظهره لناحتى تعود الثورة إلى طهارتها لتعود فلسطين إلى شعبها.

> ابتكر ناجي العلي اسم «حنظلة» من نبات الحنظل الصحراوي المُر ليرمز إلى مرارة واقع الشعب الفلسطيني في مخيمات اللجوء وتحت الاحتلال، وجعله ينتمي نضالياً إلى الشعب الفلسطيني

التحليل الإخباري

ثائرون وعلماء يلبون نداء القدس.. من كربلاء المقدسة

إلهام مليجي
كاتب ومحلل سياسي

بعد نجاح مؤتمر "نداء القدس" في دورته الأولى العام الفائت، افتتحت أعمال الدورة الثانية في مدينة كربلاء المقدسة، تحت عنوان " الإمام الحسين (ع) والقدس"، توازياً مع فعاليات ذكرى أربعينية الإمام الحسين (ع)، وجاءت أعمال المؤتمر والتي استمرت على مدى يومين في إطار تعزيز التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وبمشاركة نحو ٢٣٠ شخصية من رجال الدين بتنويعاتهم الدينية والمذهبية. وفي ختام أعمال المؤتمر، صدر عنه بيان دعا فيه إلى مواجهة التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي، داعين علماء الأمة وأحرار العالم للعمل على مواجهة أشكاله كافة. وأكد البيان دور العلماء والإعلام ومؤسسات المجتمع المدني في توضيح أبعاد القضية الفلسطينية والنهضة الحسينية. وحث على ضرورة نشر صوت الجرحى وعوائل الشهداء والأسرى، وتعريف العالم بما يتعرضون له من انتهاكات إسرائيلية.

وشدد البيان، على أن القضية الفلسطينية هي ساحة الصراع الأولى بين أحرار العالم والقوى الاستعمارية، ووجّه المؤتمر التحية إلى أبناء الشعب الفلسطيني، مقدّراً "ثباتهم وتضحياتهم العظيمة أمام الجبروت الصهيوني". ولفت البيان الختامي، إلى أن الإساءة إلى الكتب السماوية ومن بينها المصحف الشريف، تستند إلى دعم واضح من الجهات نفسها التي تساند الاحتلال الإسرائيلي.

وكانت أعمال المؤتمر قد انطلقت من صحن مرقد الإمام الحسين عليه السلام في مدينة كربلاء المقدسة، تحت شعار "فلسطين والإمام الحسين: الأبعاد العالمية للشخصية الرسالية والقضية الإنسانية. وفي اليوم الثاني من المؤتمر، ناقش المشاركون التجليات العالمية في القضية الفلسطينية والنهضة الحسينية، بالإضافة إلى التهديدات المستجدة على المسجد الأقصى، ومحاولات تهويد القدس الشريف، إلى جانب مسؤولية الإعلام في تسليط الضوء على التحديات التي يواجهها الشعب الفلسطيني.

وحظيت قضية الأسرى باهتمام المشاركين حيث كانت ضمن المشاركين أم الأسيرين ضياء ومحمد الأغا، والتي طالبت الضمائر الحية في العالم بالوقوف إلى جانب الأسرى، مستحلفة أحرار العالم بأن يعملوا على إنقاذ الأسرى، رأفة بأمهاتهم وأسرهم، لافتةً إلى أنّ أحد أبنائها معتقل منذ ٣٢ عاماً. وكذلك شارك بعض من المحررين من الأسر، ولفت المتحدثون في هذا الشأن إلى وجود ما يقرب من خمسة آلاف أسير في سجون الاحتلال الصهيوني، يتعرضون لأبشع أشكال التعذيب الجسدي والنفسي من آلة القمع الصهيونية، لكن الأسرى صامدون ويواجهون تلك الآلة الصهيونية الفاشية بالثبات والصمود والأمعاء الخاوية.

انتهت أعمال المؤتمر وبقيت روح الإمام الحسين عليه السلام تستحث الحضور على الثبات على الحق ومواجهة الطاغوت الصهيوني وتحرير كامل التراب الفلسطيني. فلم تكن إرادة الإمام الحسين ع التي اختارت أن تنحاز إلى مبدأ الشهادة دفاعاً عن الحق والعدل، سوى رمز حي لإرادة عربية وإنسانية، ممتدة، وباقية، هي أكبر وأوسع بكثير، من واقعة في عمق التاريخ العربي والإسلامي.